الاستقلال القطرية اطرها عبر المؤسسات التي اقامتها الدول المنتدبة، وكان لها زعاماتها الوطنية التي قادتها بعد الاستقلال في مواجهة دعوات التوحيد. وقد خاضت الحركة الشعبية العربية لاحقا، بما فيها الحركة الوطنية الفلسطينية، نضالات لبناء الاطر وتحديد المضامين في المرحلة اللاحقة للنكبة.

٥ ـ على الصعيد العربي ايضا، وفي الاطار الدولي، اعتبرت الدويلات العربية نفسها جزءاً من الاطار الامبريالي، بالرغم من اعلان معظمها عداءه للامبريالية، فالاعلان امر وواقع الحال امر آخر: اذ ان المشروع الاجتماعي ـ الاقتصادي ـ السياسي الذي تبنته النظم العربية سعى ليكون جزءا من الغرب الرأسمالي، وليس جزءاً من نقيضه. ولهذا، لم تكن المواجهات العربية للمشروع الصهيوني جذرية، حيث انه التعبير الاكثر حيوية عن النموذج الغربي في المنطقة (اسرائيل جزء من العالم الحر). وكان على الزمن ان يتولى حل مسألة الشعارات الراديكالية التي طرحت مسألة تحرير فلسطين. فما كادت الهزيمة الثانية تحصل في ١٩٦٧ حتى غاب شعار «التحرير» ليحل محله شعار «ازالة آثار العدوان». وبالهزيمة الثالثة في ١٩٧٣، حل محل شعار «ما اخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة» شعار «البحث السلمي عن السلام العادل والدائم» وواكبه شعار «تحقيق التوازن الاستراتيجي».

٦ ـ على الصعيد العالمي، جاء المشروع الصهيوني لاقامة دولة يهودية في فلسطين متطابقا مع مصالح الدول الاستعمارية التي هيمنت على المنطقة في حينه، عسكريا واقتصاديا وسياسيا. ومازال المشروع الصهيوني، بعد انجاز الكيان في ١٩٤٨ يتقاطع، مع المشروع الامبريالي العالمي للهيمنة على المنطقة (اسرائيل دركي الامبريالية)، سواء باعتبارها ممرا الى الشرق الاوسط، او خزانا نفطيا، او حدود مواجهة مع الدولة السوفياتية التي تتزعم المشروع الاشتراكي الكوني النقيض للمشروع الامبريالي الكوني ايضا. ومع ملاحظة ان المشروع الصهيوني الوافد مصدّر الى المنطقة من الغرب الرأسمالي، مثلها في ذلك مثل انشاء اميركا البيضاء في حينه، ومقارنة مع اوضاع المنطقة العربية التي تختزن كومون التغيير، لا يمكن ان يكون الغرب الرأسمالي الا في موقف المنحاز للنموذج الذي صدره، بشرا وايديولوجيا، الى المنطقة.

هذه العوامل آنفة الذكر مازالت قائمة على الصعيدين العربي والعالمي، بالرغم من تبدل واجهات الحكم في الاقطار العربية، اشخاصا او احزابا، والتبدل الوحيد الذي طرأ خلال العشرين سنة الماضية، وحمل مغزى عميقا، هو هذا التبدل الذي شمل الجانب الفلسطيني، فقط.

## العنقاء الفلسطينية

جعلت الحكومات العربية من نكبة فلسطين راية ترفعها في وجه بعضها البعض. وقد «خوّن» كل طرف الآخر. كما شكلت تلك النكبة راية للطامعين في السلطة في اطار تلك الاقطار، ومن هؤلاء عسكريون وصلوها بدباباتهم حاملين البلاغ رقم ١ الذي يتضمن «تخوين» من سبقهم ازاء مسألة فلسطين، او احزاب سياسية كانت قائمة، او ولدت بعد النكبة، عبرت عن نفسها بأنها مشروع الرد السياسي والحضاري على ما حصل في نكبة فلسطين.

ومع الوقت، كانت ارتال الفلسطينيين تتزايد بالولادات في المنفى امام مكاتب وكالة الاغاثة، كما كان يتزايد عدد المتنوّرين الفلسطينيين الذين يفدون الى سجون الحكومات العربية،